المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية | المجلد 5 / العـــدد التسلسلي: 9 (2020)، ص 4- 20

# محمد أحمد المهدي سيرة ومسيرة

## 1844م-1881م

*Muhammad Ahmed Al Mahdi, biography and march*
*1844--1881*


| | |
|---|---|
| عامر زناتي | |
| جامعة غرداية | |
| ameur.zenati@univ-ghardaia.dz | |


**تاريخ الاستلام: 2020/10/22 تاريخ القبول: 2020/10/23 تاريخ النشر: 2020/10/31**


**ملخص:**

تعد شخصية محمد أحمد المهدي من الشخصيات الدينية الثورية الهامة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر، التي استطاعت قيادة الثورة المهدية في السودان سنة 1881م– 1885م، حيث نتناول في هذه الورقة البحثية سيرة هذه الشخصية الهامة من حيث المولد والنشأة والبيئة التي تربى فيها، وكيف أثرت هذه البيئة في تكوينه الشخصي الذي انعكس فيما بعد على شخصيته المتأثرة بالحياة الدينية التي كان يعيشها المجتمع السوداني في ذلك الوقت، والطابع الصوفي الذي انتمى اليه محمد أحمد المهدي، كما أن الظروف التي كان يعيشها السودان أدت بمحمد أحمد المهدي إلى السعي لتغير ذلك الوضع، وهو ما كان في إعلانه لتفجير الثورة المهدية.


**كلمات مفتاحية:** محمد أحمد، المهدي، المهدية، السودان 1881م، الثورة المهدية.


***Abstract:***

*The personality of Muhammad Ahmad Al-Mahdi is considered one of the important revolutionary religious figures in the modern and contemporary history of Sudan, who was able to lead the Mahdist revolution in Sudan in the year 1881 AD - 1885 AD. In this research paper we deal with the biography of this important personality in terms of birth, upbringing, and the environment in which he was raised, and how it affected these The environment in his personal formation, which was later reflected in his personality affected by the religious life that the Sudanese society was living at that time, and the Sufi character to which Muhammad Ahmad al-Mahdi belonged, and the conditions that Sudan was living in led Muhammad Ahmad al-Mahdi to seek to change that situation, which is what It was in his announcement to blow up the Mahdist revolution.*


***Keywords:***

*Muhammad Ahmad, Mahdi, Mahdia, Sudan 1881, the Mahdist Revolution*

**المقدمة**

يختزل سودان وادي النيل الحديث بموقعه في قلب إفريقيا نموذج القطر القارة بالنظر إلى التعقيد البِّين في تركيبته الجدلية بشهادة التاريخ وحقائق الجغرافيا. فهو يحتوي على خليط من الثقافات ومزيج من الحضارات، وكان معبرا لها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وللعديد من المكونات البشرية ذات الأديان والتقاليد المتداخلة والتي استقرت في وضعها الحالي في ما يربو على الخمسين مجموعة عرقية انحدرت منها أكثر من ستمائة قبيلة تتحدث حوالي مائة لغة ولهجة، وتسود التركيبة الحدود السياسية التي أورثها الاستعمار لتجاور ثماني دول ذات ظروف ومكونات متقاربة أو متباينة ولكنها فاعلة في تحديد راهن ومستقبل السودان .

وتقدم الثورة المهدية بحركيتها وحضورها القوي في تاريخ السودان نموذجا جيدا للبحث والدرس في الجوهر الرافد لمنطلقاتها ومسارها ومصيرها، ونقصد تحديدا: شخصية محمد أحمد المهدي المقرونة بظهور المهدي المنتظر وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الورقة البحثية.

**1- مولده ونشأته[1]:**

في لبب إحدى جزر النيل الواقعة بالقرب من مدينة دنقلة في الشمال ( تبعد بنحو 15كلم جنوب مدينة دنقلة ) ولد محمد أحمد بن عبد الله في 12 أوت 1844م[2] الموافق لـ 27 رجب 1260هـ[3]، ويذكر إبراهيم فوزي باشا أن محمد أحمد المتمهدي ( يقصد المهدي) أنه ولد في جزيرة الخناق المعروفة بلبب الواقعة جنوب مدينة العرض وهي قاعدة إقليم دنقلة، من أبوين دنقلاويين (بربريين حسب رأيه) من قبيلة كانت تدعى الخنايقية تسكن هذه الجزيرة[4]، وتتكون الأسرة من أربع أبناء هم محمد ومحمد أحمد وحامد وعبد الله، وبنت اسمها زينب، أما أمه فاسمها جارة وهم ذرية رجل صالح يسمى بالحاج شريف، الذي اشتهر بالعلم والتقوى في أواسط القرن السابع هجري 07 هـ[5] .

أما المؤرخ نعوم شقير فيقول بأن قبيلة محمد أحمد هي من العرب المتنوبة، وقد عرفت في دنقلة بصبر نُسي أي قبيلة صبر، وهو جد له أبعد من جده حاج شريف المار ذكره وعرفت أيضا بالأشراف، لأنها تدعي النسبة إلى جد أبعد من صبر يقال له نجم الدين هو جد الكنوز المدعي النسب إلى آل البيت، ولما ادعى محمد أحمد المهدية على نسبه أو أصله على الحسن السبط، طبقا لما تدون في الكتب من شرائط المهدي وفيما يلي سلسلة النسب التي كان ينادي بها لنفسه [6]، فهو محمد المهدي بن عبد الله بن فحل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد بن حاج شريف بن علي بن أحمد بن علي بن حسب النبي ابن صبر بن عبد الكريم بن حسن بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن أبي العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن الحسن العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –[7].

هذا النسب الشريف كان معروف عن الأسرة قبل أن يظهر محمد أحمد ويعلن مهديته. وجعل انتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إحدى علاماته ، والانتساب إلى آل البيت أمر معروف في السودان، وتقول به

بعض العائلات ، فالشريف أحمد ود طه في الجزيرة، والسادة المراغنة يقولون بانتمائهم الشريف، فهذا ليس غريبا أن تقول به أسرة محمد أحمد، لكن بعد إعلان المهدية أصبح هذا الانتساب يجد عناية خاصة وتأكيدا. وبرزت شجرة النسب التي تحمل الأسرة إلى فاطمة الزهراء[8].

وفي السنة التي ولد فيها محمد أحمد أجدبت بلادهم بسب انخفاض النيل ، فهاجر أبوه الذي كان يحترف صناعة المراكب، ونزل بشندي أولا ثم واصل السير جنوبا حتى حط الرحال بكرري شمال أم درمان بقليل، ولم يمكث الوالدان إلا قليلا في موطنهما الجديد إذ توفيا ، وتركا محمد أحمد رضيع حيث لم يتم الحول بعد، فتركاه يتيما تحت كفالة إخوته وما كان لإخوته غير اقتفاء أثر والدهم في الصنعة، لكنه لم يجد في نفسه هذا الميل لمثل ما يصنعون ، بل مال بفطرته نحو الدين[9] ، يذكر إبراهيم فوزي باشا أنه لما بلغ محمد أحمد السابعة من عمره اصطحبه أخواه معهما ليعمل في صناعة المراكب، وفي ذلك اليوم رأى غلمانا ذاهبين إلى الكتاتيب، وبأيديهم الألواح فرغب في أن يكون منهم ، فعنفه أخواه ، وحسنا إليه صنعة المراكب ، ففر منهما ولحق بكتاب بشرق النيل بقرية كرري وصاحب هذا الكتاب يدعى الشيخ الفكي الهاشمي، وكان مشهورا في تلك المنطقة بتعليم القرآن بغير أجر ، فأدركه أخواه وأخرجاه من الكتاب وحذراه من العودة إليه، فلم يكترث بتحذيرهما له، وعاد إلى ما كان فيه، فقيداه عند ذلك تغيرت حاله ولازم الحزن والبكاء فرقا له وأعاده إلى الكتاب بعد أن اشترطا عليه العودة لتعلم صناعة المراكب بعد حفظه للقرآن، بعد بضع سنوات عاد إليهما وتعلم صناعة المراكب وأخذ في الاشتغال بها، وقول الذين كتبوا سيرته أنه لم يشتغل بصناعة المراكب زمنا، بل صنع مركبا واحدا وكان صغير الحجم ، وتصدق به على أرملة ثكلت ابنها [10]

تعلم محمد أحمد القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن في خلاوي كرري والخرطوم هاته الأخيرة التي سرعان ما انتقل منها لأنه وجد أن العاصمة لها ضجيج وبريق لا يهيئان الجو المناسب للنسك والعبادة، فآثر أن يرحل إلى إحدى قرى الجزر ليتلقى العلم على أحد الأساتذة هناك، ولم يمكث هناك طويلا، فقد سمع بإحدى خلاوي الشمال أن علما الغبش يلقون دروسهم في مدرستهم العتيقة، التي كان يعلم فيها الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلي[11] .

ولزم محمد أحمد أستاذه الجديد حقبة من الزمن، وهو يحاول أن يسلك طريق الرشاد في سره وعلانيته، متمسكا بأهداب الدين ومثله العليا، وفي مدرسة الغبش اشترط التلميذ على أستاذه بعض الشروط، فأخبر شيخه محمد الخير عبد الله خوجلي أنه لا يستطيع أن يسمح لنفسه أن يقدم له شيخه طعاما اشتراه من المرتب الذي يتقاضاه من الحكومة نظير تدريسه في تلك الخلوة، ولما استفسر الشيخ عن السبب أفضى إليه تلميذه انه يعتقد بأن ذلك المرتب قد دفع للشيخ من أموال دافعي الضرائب من السودانيين، الذين جارت عليهم الحكومة وظلمتهم، فقد كان يعتقد محمد أحمد أنه ليس هناك وجه حق شرعي في جمع تلك الضرائب من المسلمين، وكانت الحكومة تعني القسوة في جمع تلك الضرائب وتجسد الظلم والاضطهاد، وكذلك الاستهتار بمبادئ الدين والخلق العظيم،

أعجب الشيخ من حديث تلميذه محمد أحمد ولم ينكره عليه واتفقا على أن يأكل التلميذ من حصاد أرض أستاذه وكان يساهم في زرعها وحصدها [12] .

كان محمد أحمد على حداثة سنه آنذاك يتجنب كل ما اشتبه فيه، حتى إذا ضاقت نفسه في مأكلها خرج إلى النيل ليصطاد، لكنه كان يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، حتى أنه كان يرمي صنارته إلى الماء دون طعم، وإذا قيل له بأن يضع الطعم رفض ذلك رفضا شديدا وقال انه لا يستطيع أن يغش الأسماك، لأن الغش ليس من شيمة المسلم . ويتمثل الحديث النبوي الشريف (( من غشنا فليس منا ))[13]،كما اعتبر كذاك بمثابة المعلم الديني في حال غياب الشيخ [14] .

يبدو أن تصرفات محمد أحمد هذه خلقت له نوعا من التوقير واللمعان، ويدل على ذلك أن بعض أقرانه في خلوة الغبش قد انظموا إليه فيما بعد وأعطوه ولاءهم الكامل، ويأتي في مقدمة هؤلاء أستاذه محمد الخير، الذي كان قد لقن محمد أحمد العلوم النقلية حتى صار عاملا له على بربر ودنقلة ، وأحد دعامات المهدية [15] .

فارق محمد أحمد إخوته إلى وجهة مجهولة، فلم يهتدوا لمكانه، وماتت أخته غما وحزنا لفراقه، لحق محمد أحمد بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعى الشيخ محمود الذي كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية، ثم فارقها إلى مدرسة محمد الخير الأنفة الذكر[16] .

أخذ الفتى محمد أحمد يميل في هذه الفترة إلى التصوف بشكل لفت الأنظار، زاره أستاذه مرة في غرفته فوجده يقرأ كتاب الغزالي إحياء علوم الدين، وهو يبكي من الانفعال، فخطف منه الكتاب وأمره ألا يمس مثل هذه الكتب إلا بعد دراسة مختصر الخليل في الفقه المالكي دراسة وافية [17]، هذه الرواية توضح لنا نزعته للتصوف التي لم تشبعها دروس الشيخ محمد الخير نفسه .

في هذه الفترة تم زواجه الأول، فبعد أن أخذ الإذن من أستاذه غادر بربر إلى الخرطوم حوالي 1864م – 1865م ، لكن هل كان ذهابه للزواج ؟ أم أن إخوته حضروا إلى بربر و ألحوا عليه بمرافقتهم إلى الخرطوم ؟ ، هناك رواية تقول أنه قبل الزواج بعد إلحاح إخوته عليه [18]ونحن إليها لأنه في هذه الفترة الأخيرة من حياته في بربر يقف في مفترق الطرق ، فعلوم الدين التي درسها متنقلا بين خلاوي البلاد قد بلغ منها مبلغا بعيدا، و إن أراد الاستزادة فدونه الأزهر، ومن جانب أخر كانت الصوفية تفرض نفسها عليه بإلحاح في هذا الوقت جاءه إخوته يطلبون منه الزواج، وهو في حالة من الصراع الفكري والنفسي العاصف، وما كان له إلا أن يرضخ لهم وهو لم يستقر به القرار، فذهب إلى الخرطوم وتزوج من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج، وفي حفل زواجه كان له موقف فقد اجتمع الرجال والنساء ليرقصوا مختلطين كعادتهم في مثل هذه الليالي فمنعهم، وما كان لهذا الزواج أن يعمر طويلا فقد تشاجر مع زوجته، حيث كان في إحدى الليالي منهمكا في قراءة القرآن فدخلت عليه زوجته، واختطفت الكتاب منه، وحثته للبحث عن عمل فما كان منه إلا أن طلقها [19] .

كانت هذه نهاية مرحلة من حياته – مرحلة الأكاديمية – إن صح استعمال اللفظ تجاوزا وبداية مرحلة التصوف ، الذي اندفع إليه بكل طاقته، فكان من صفات الفتى أنه جاد في كل أموره، ويندفع في الأمر الذي يقتنع به، فهو من الشخصيات التي تعرف أهدافها بوضوح ويعمل بدأب للوصول إليها.

**2- شيوخه في التصوف :**

**- أولا :مع الشيخ محمد الشريف نور الدايم :**

الشيخ محمد الشريف نور الدايم أشهر زعيم صوفي بين بربر والخرطوم، هو حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية في السودان [20] والشهير برجل أم مرح والذي تردد عنه الكثير من الولاية والصلاح، وينتظم في سلك طريقته الآلاف من الناس من مختلف المناطق، فسعى محمد أحمد إلى حفيده في أم مرح، وتذهب الروايات أن ذلك كان في سنة 1277هـ 1861م [21] .

كانت الطريقة السمانية تعاني من انشقاق خطير ذلك لأن الشيخ القرشي ود الزين والشيخ الطيب البصير أخذ الطريقة على يد الشيخ أحمد الطيب ود البشير الذي أدخل الطريقة إلى السودان، وهو جد محمد الشريف نور الدايم، انظم محمد أحمد إلى الطائفة الأم، وسار على المنوال الذي سار به في بربر من زهد وعبادة وتقوى وولاء خالص، حتى قيل أنه كان يقوم بالخدمة المنزلية لشيخه [22].

كان جو أم مرح صوفيا خالصا ، ففيه ألقى محمد أحمد بكل ثقل شخصيته وحيويتها، فهو إذا سار في طريق اندفع فيه حتى النهاية، فانغمس في الثقافة الصوفية وقرأ إحياء علوم الدين للغزالي و الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي و الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة والنغمات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية ، وكذلك توغل في مؤلفات الشيخ أحمد الطيب البشير [23] ، ودخل في عداد المريدين وهنا وجد متسعا من الوقت للعبادة والتأمل، واستمر في الاحتطاب وتجهيز طعامه بنفسه، وإذا تفقد الشيخ مريده بالليل لم يجد محمد أحمد كغيره من الجيران نائما ، بل يجده في يقظة يتعبد ويتهجد، فلفت نظره ذلك الشاب الذي لم يجد له نظيرا بين مريديه [24] ، وقد وصف محمد الشريف حال محمد أحمد في قصيدة قال فيها :

وكم صام كم صلى ، وكم قام تلا * من الله مازالت مدامعه تجري

وكم بوضوء الليل كبر للضحى * وكم ختم القرآن في سنة الوتر [25]

قضى محمد أحمد سنوات على هذا المسلك فمال إليه محمد الشريف وأحبه وجعله شيخا وأعطاه راية، وأذن له في الذهاب لإعطاء العهود والتجنيد للطريقة، هنا تبدأ مرحلة أخرى في درب الصوفية، فبدأ يسيح في الأرض رافعا راية الطريقة السمانية وناشرا لتعاليمها بين الناس، ولهذه المرحلة فائدتان :

الأولى أنه استطاع أن يبني لنفسه سمعة خاصة به، لكنها كانت تحت مظلة الشيخ محمد الشريف، أما الثانية فهي تمكنه من التجوال في قرى السودان، فقد قاده سعيه حتى سنار بل تجاوزها فغطى أرض الجزيرة و أواسط السودان ، أين تعرف على حال الناس ووقف على بعض معاناتهم في ظل النظام القائم [26]، وفي ظل ذلك

احترف بيع الخشب في سوق الخرطوم، وعلم ذات مرة من امرأة تساومه فيه و أنها تريده لتقطير الخمر، فأنفق ما بقي من الخشب على الناس وترك بيعه نهائيا، واشترك مع غيره في تجارة الذرة، وصعد في النيل الأبيض فلما ابتعد هو وشريكه من الخرطوم حتى نادى محمد أحمد على شريكه بالتوقف، وشراء ما يريدانه من تلك الجهة فخالفه الشريك، معترضا أن وافر الربح في الابتعاد فأجاب محمد أحمد (( ... ماذا نقول لربنا إذا ما خاطبنا بأن الدنيا عدوة لنا ، وأننا سافرنا نطلبها ...))[27] هذا الموقف هو البداية التي قد تقود إلى موقف متكامل يحفظ للرجل تطابق المسلك مع المعتقد، تزوج في هذه الفترة من فاطمة بنت الشيخ أحمد شرفي [28] .

انتقل محمد أحمد مع شيخه إلى منطقة العراديب القريبة من أبا في سنة 1872م، وكان من أثر اجتماعهما في هذه المنطقة أن اشتد نفوذ طائفة السمانية التي كان يتزعمها محمد الشريف في منطقة النيل، وبالأخص نفوذ محمد أحمد الذي بلغت شهرته شأوا عظيما، لا لكونه داعية من دعاة السمانية فقط ، إنما لاعتقاد الناس فيه هو شخصيا[29]، فما لبث أن وجد الشيخ محمد الشريف أن صيت تلميذه قد ملأ البوادي في تلك المنطقة ، وأنه ليس له مجال في تلك البقاع بالرغم من ترحيب تلميذه واحترامه وحسن استقباله له، فقرر العودة إلى مقره بشمال الخرطوم تاركا أحد أتباعه في المنطقة التي دله عليها تلميذه [30] .

النجاح الذي صادفه محمد أحمد كان سببا في فصم العلاقات الطيبة التي ربطت بين الرجلين نحو 22 سنة، فقد وقع بينهما خلاف عميق في 1295هـ الموافق لـ 1878م ثم تطور الخلاف إلى عداء شديد، وطرد محمد أحمد من طائفة محمد الشريف.

يرى أتباع محمد أحمد أن الخلاف يرجع إلى غيرة شيخه من المكانة التي خلقها محمد احمد لنفسه، وولاء الناس وتوقيرهم إياه، في حين يرى محمد الشريف أن محمد أحمد قد أفصح له عن مهديته، هذا القول انفرد به المؤرخ نعوم شقير، لكن أنصار المهدي ينكرون هذا القول بشدة [31]، وقد أفادنا نعوم شقير بأن محمد الشريف قد أقام له في منطقة نفوذ محمد أحمد خليفة آخر هو الشيخ رضوان، فأنكر محمد على شيخه هذا التحامل والجفاء، ووقع النفور بينه وبين الشيخ رضوان، و أفضى ذلك إلى تلامذتهما، فصار كل فريق يندد بالآخر، ويحقد عليه، وما زالت أسباب النفور تتزايد حتى اتصل الفريقان إلى الضرب، تغلب فريق الشيخ رضوان فهشموا رأس محمد أحمد، من ذلك الحين حقد محمد على أستاذه وذهب حبه واحترامه من قلبه فانكشفت له عيوبه [32] ، ومهما يكن من أمر فإن الحادثة لاشك قد نبهت محمد أحمد إلى أخطاء أستاذه، الذي قام بخدمته من قبل في إخلاص أعمى، وبلغ هذا الإدراك ذروته في الحفل الذي أقامه شيخه محمد الشريف من أجل ختان أولاده، وهو الحفل الذي صاحبه الرقص والغناء والموسيقى، وتم ذلك بموافقة الشريف، فقام محمد أحمد بنهي أصحابه بحجة أن الشريعة تمنع ذلك ، وليس في وسع أحد أن يجيزها ولو كان شيخ الطريقة نفسه ، وبلغ الخبر محمد الشريف ، وكان قد بلغه أيضا تنديده عليه لقبوله النساء في مجلسه ، فاتخذ تطاوله هذا ذريعة لشفاء غليله منه واستحضره ووبخه توبيخا شديدا ، ومحا اسمه من الطريقة ، وقال له اذهب فقد صدق فيك المثل القائل (( الدنقلاوي شيطان مجلد بجلد إنسان )) [33]. وعلى أية حال فقد قدر لمحمد أحمد المهدي أن

يجتاز محنته وأن يواصل تبعيته للطريقة السمانية[34] بفضل الشيخ القرشي ود الزين ، يبدو أن محمد الشريف بدأ يدرك خطورة انفصال محمد عنه ، فأراد استدراك الأمر قبل فوات الأوان ، ربما تكشف لمحمد ما يمكن أن يحققه من انتمائه للسيخ القرشي ود الزين ، الذي كان أقل صيتا من محمد الشريف نور الدايم ، كان شيخا يعيش سنوات عمره الأخيرة .

**– ثانيا مع الشيخ القرشي ود الزين :**

هذه المعاناة دفعت بمحمد أحمد إلى نقد شيخه علنا رغم ما كان يتمتع به الشيخ من قداسة وهيبة ، سعى محمد إلى طلب العفو والصفح من شيخه ورجع إليه تائبا واضعا الشعبة على عنقه دليلا على الندم ومعاقبة النفس ، لكن الشريف لم يقبل توبته وطرده من الطريقة كان هذا الفعل قاسيا مما أذكى نيران ثورته وتذمره .

لم يخرج محمد أحمد من دائرة الطريقة السمانية في هذه المرحلة ووجد في الشيخ القرشي ود الزين فرصة للانضمام إلى فرع من فروع الطريقة السمانية ، فتابع بذلك تبعيته للطريقة بفضل الشيخ القرشي الذي جدد له العهد ، وأعاده إلى سلك الطريقة رغم احتجاج محمد الشريف ومحاولاته لإقصائه من الطريقة نهائيا [35] .

كانت الفترة من اتصاله بالشيخ القرشي ود الزين عام 1878م حتى عام 1880م فترة حرجة في حياته ، فهي من جانب امتداد لحياته الصوفية الأولى ، ومن جانب آخر مرحلة انتقالية في حياته مهدت لقيامه بأمر المهدية ، هي إذن فترة دقيقة لأنها شهدت الانتقال الحاسم من شخصه الرجل الصوفي إلى شخصية المهدي . وجد محمد عند الشيخ القرشي مناخا ملائما ، أكثر قربا من الذي كان عند شيخه السابق ، فالقرشي كان قد أخذ الطريقة رأسا عن الشيخ أحمد الطيب البشير ، وكما يقول القدال كان صوفيا في منهجه ومسلكه [36] عرفت عنه صفات التقوى والورع والصلاح ، وكان الرجل يحس بمكانته في الطريقة وأنه أحد أتباعها ودعاماتها ، فهو لم يرث الأمر عن نسب وإنما ورثه من مصادره الأولى ومن قدراته الذاتية .

لم يكن الشيخ القرشي مع وفاق والشيخ محمد الشريف الدايم ، فعندما طلب هذا الأخير من الشيخ القرشي عدم قبول محمد المهدي في طريقته رفض وقال له (( إني رأيت محمد أحمد مستحقا ومنع المستحق ظلما))[37]

عزز الشيخ القرشي صلته بمحمد أحمد ، فزوجه ابنته النعمة ، ويقال أن فكرة الزواج قد أوحيت له من شيخه ، إذ تذهب الروايات إلى أن الشيخ القرشي قال له ((... أديته بنتي وفرسي وأنا وموعود أن فرسي ده يركبه المهدي ، وشيخته وأديته الإجازة ...)) [38] ولسنا ندري إن كان القرشي قد أوصى له بالمشيخة على طريقته صراحة متفاديا أولاده أو كان اختياره لها على يد أتباعه بعد وفاته ، نظرا لمكانته في نفس أستاذهم ، ومقدرته العالية ، ولكننا نعلم على أية حال أن طائفة الشيخ القرشي كانت تشعر بالقلق ، لأن ابنه عبد الرحمان كان صغير السن وبالطبع كانت المشيخة تحتاج لشخص مقتدر يواجه محمد الشريف .

عاد محمد أحمد على جزيرة أبا ، وفي الطريق إليها كان الناس قد بدؤوا يتدافعون إليه للتبرك به ، كانوا يحملون الهدايا إليه فيقوم بتوزيعها على الفقراء ، زهدا في الدنيا ، و في أبا واصل سلوكه الزاهد [39] ، دخل

محمد أحمد غارا كان قد حفره في باطن الأرض للعبادة ، واستمر تدفق الناس إليه من الجهات الأربع ، كانوا يقفون بالمراكب ، يطلبون منه البركة فيباركهم ويوزع عليهم الهدايا خاصة على الفقراء ، كما كانوا يلتمسون منه تسكين الآلام وتضميد أوجاعهم وجراحهم ، جراء الإدارة القاسية التي كانوا يعانون منها الويل والظلم ، وأصبح له مريدون لا يبارحونه أبدا ، حتى ذاع صيته بين قبائل المنطقة خاصة قبيلتي دغيم وكنانة ، اللتين شكلتا فيما بعد الراية الخضراء ، وهي إحدى رايات المهدي الثلاث المقاتلة ، في تلك الأثناء تابع محمد حياة الزهد والتنسك في أبا ، ولم تتأثر مكانته أو تضار لما كان مع شيخه السابق محمد الشريف [40] .و واصل محمد رحلاته في المنطقة تحت مظلة الشيخ القرشي ، وامتد نشاطه خارج المنطقة التقليدية التي جابها من قبل ، فزار مديرية كردفان[41] ، هذه الزيارة التي سيصبح لها أهمية نظرا للأحداث التاريخية ذات الأهمية البالغة في هذه المنطقة ، حيث كان هناك انقسام في السياسة المحلية بكردفان فتحول هذا لصالح محمد أحمد ، فالمهاجرين من الجعليين كانوا يمثلون عاملا هاما في حياة المدن خاصة في الأبيض ، فانقسموا إلى جماعتين ، يتزعم إحداهما إلياس باشا أم بربر أما الثانية يتزعمها أحمد بك دفع الله العوض ، و خلال إدارة غردون باشا للسودان كحاكم عام عين إلياس باشا مديرا لكردفان سنة 1878م ومعه جعلي ( أي من قبيلة الجعليين ) آخر كوكيل له وهو عبد الرحمان بك بانقا ، ومن ثم تآمر احمد بك دفع الله مع الشيخ علي كانونة زعيم قبيلة الغديات ضد إلياس باشا ، فقام بثورة كانت في البداية موفقة ، لكنه هزم وقتل بواسطة القوة التي أرسلها إلياس باشا والتي عززت بإمدادات قبلية[42]

هذه الأحداث أدت إلى عزل إلياس ، وإعادة الحاكم السابق محمد سعيد باشا وهبي سنة 1879م ، فأعاد هذا الأخير تنصيب الابن الأكبر لعلي كانونة شيخا لقبيلة الغديات وهكذا انقسمت كردفان إلى جماعتين ، كل منها تتكون من مجموعة قبلية مرتبطة بأحد الزعيمين الجعليين المتنافسين ، وكان الجانب السيئ من الموقف هو أن أحد الفريقين الذي يتزعمه أحمد بك دفع الله ، ارتبط مع سعيد باشا في تأييده للإدارة ، بينما الثاني بزعامة إلياس فكان مغلوبا على أمره ، كان يتحين الفرصة للاشتراك في أي مؤامرة تؤدي إلى استرجاع مكانته ، ولأن مكانته بين التجار كانت كبيرة نظرا لثرائه من أحمد دفع الله فإن عزله جعل منه عدوا خطيرا للحكومة [43] ، فشهدت كردفان على إثر ذلك صراعات بين القبائل ، كما كانت الأبيض عاصمتها بؤرة لصراعات أعنف امتدت من القمة حتى الفئات الاجتماعية المسحوقة .

أما عن اختيار محمد أحمد للعاصمة الأبيض محطة لزيارته ، فترجع المصادر على أنه ذهب قاصدا نشر تعاليم طريقته ، وكذلك لإدراكه من أنها مركز سياسي وتجاري واجتماعي ، وميدان خصب لنشر تعاليم الطريقة التي يبشر بها . وبعدها عن مركز الحكم في الخرطوم ، والمعاناة التي تعرضت لها منذ أيام الدفتردار الأولى ، قد جعلها حبلى بفكرة المهدي ، ومن أكثر المناطق استعدادا لتقبلها [44] . وفي كردفان صار الناس يزورونه لأجل أخذ البركة ، كما اتصل بطبقة التجار وهذا لوعيه بالقوى الاجتماعية التي تؤثر في المجتمع ،

ولعل التفاف الناس حوله قد بين له قدرت في التأثير في الناس خاصة خارج منطقة الجزيرة التي عاش فيها سنوات حياته الأولى .

أما الأمر الآخر والذي انفرد به المؤرخ إبراهيم فوزي باشا ، فإنه في إحدى الليالي سمع طبولا وموسيقى ، وعلم أن أحد تجار الرقيق سيتزوج غلاما اسمه ( قرفة) فغضب محمد أحمد وهم هو وأصحابه إلى مكان الحفل ، وهناك أمسك سيفه وهم بضرب عنق الرجل ، لولا أن حال أصحابه دون ذلك ، فاتجه من فوره إلى مأمور (( الضبطية )) يشكو الأمر ، فقابلهم المأمور بالإهانة والازدراء وصاح فيهم قائلا الدنيا حرة [45] ، كانت رحلته إلى كردفان ذات نتائج ودلالات بعيدة على مستقبل الفتى الصوفي ، وكانت منعطفا هاما في حياته ، فمن خلال هذه الرحلة استطاع أن يتصل بجميع زعماء الأبيض ، ومن الواضح أن من بين من زارهم و ورد ذكرهم بالاسم ، زعماء الجماعة المعارضة إلياس باشا نفسه ، وعبد الرحمان بانقا ، ومعهم أيضا أسرة أبو صافية الذين أيدوا إلياس ضد علي كانونة . كما اتصل بالحاج خالد أحمد العمراني ، وهو تاجر جعلي تقي ، والشيخ المنة إسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة [46] .

استطاع محمد أحمد أن يحيط نفسه بهالة كبيرة من التقوى ، انتشر أمرها بين العامة في كردفان ، وكان أساس تعاليمه هو الزهد في شهوات الدنيا والتضرع إلى الله ، بعد انتهاء زيارته عاد إلى أبا بعد أن وعد الأهالي في كردفان أنه سيعود مرة أخرى ، وبعد عودته من الأبيض حدثت له بعض التطورات الهامة ، أولها وفاة الشيخ القرشي أواخر 1297هـ 1880م [47] .

وكما سبقت الإشارة إليه فإنه يقال أن الشيخ القرشي كان قد أوحى إلى محمد أحمد بفكرة المهدي المنتظر ، هذا جاء في قول الشيخ القرشي في قوله (( أديته بنتي وفرسي ، وأنا موعود أن فرسي ده يركبه المهدي ، وشيخته وأديته الإجازة )) [48] . وتذهب هذه الرواية إلى نوع من الجزم في أمر المهدي ، وهو ملا يتفق مع الأحداث ، فالمهدي المنتظر والمشيخة لا يسيران معا ، ولعل كل الأمر أن الشيخ القرشي رأى في ذلك الشاب الورع التقي ، الشخص المناسب الذي سيخلفه ، فهو يتمتع بصفات تؤهله ليقود قومه في أمور دينهم ودنياهم ، فأشاد به وبالغ في إشادته ، وربما أطلق ذلك التصريح عنه مشبها له بالمهدي ، أو ألصق به بعد وفاته .

بعد أن سمع محمد أحمد بوفاة شيخه ، حتى ذهب هو وتلامذته إلى الحلاوين ، وشرعوا في بناء قبة فوق قبر الشيخ ، وبعد فراغه من البناء بايعه أتباعه شيخا للطريقة السمانية هذا باعتبار أنه كان الأقرب من الشيخ وللاعتبارات التي ذكرناها ، وأشاع تلاميذ الشيخ القرشي بأن وارث السلسلة الطيبة الشيخ القرشي أورث الطريقة إلى محمد أحمد بعد وفاته ووافقهم على ذلك جل ذرية الشيخ الطيب لسابق الكراهية بينهم وبين محمد الشريف نور الدايم ، فقويت بذلك شوكت محمد أحمد وكثر أنصاره ، وبالغوا في محبته وتعظيمه حتى قالوا أن في كتب طريقتهم نصا على أن المهدي يكون منهم ، وأن الشيخ القرشي قبل وفاته أومأ بها إلى محمد أحمد [49] .

كان من عادة محمد أحمد أن يخرج سائحا مع بعض أصحابه ، لإنذار الناس بطريقته ودعوتهم إلى الله ، ثم يعود إلى محل إقامته في جزيرة أبا ، جال في جميع البلاد من دنقلة إلى سنار شمالا وجنوبا ، ومن النيل الأزرق إلى كردفان شرقا وغربا ، ورأى بعينه وجد الناس خاصتهم وعامتهم على الحكومة ، وشدة رغبتهم في التخلص منها ، كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدي الموعود به لينقذهم من هذه الحال ، بل كانوا كلما رأوا رجلا ذا عقل ودراية وله الغيرة على الدين ظنوه المهدي .

الأمر الثاني : كان لقاؤه بعبد الله بن محمد التعايشي ، الذي أصبح فيما بعد الخليفة عبد الله ، كان هذا اللقاء أثناء بناء الضريح ، فقد كانا يعملان مع بعضهما البعض في حمل الطوب ، وبناء الضريح ، اتصلت الأسباب بينهما وربطت بينهما صداقة متينة ، فكان عبد الله مأخوذا بشخصية محمد أحمد وورعه وتقواه ، كما أن محمد أحمد كان معجبا بذكاء عبد الله بالرغم من علمه القليل ، وبصبره إذ جاء من أقصى الغرب بالسودان إلى الجزيرة للالتقاء به سيرا بلا زاد ولا مال [50] ، وقيل أن عبد الله التعايشي لما رأى محمد أحمد وقع مغشيا عليه ولم يفق من غشيته إلا بعد ساعة أو أكثر ولما أفاق عاد فنظر إلى محمد أحمد وتقدم لمصافحته فأغمي عليه مرة ثانية ، ثم أفاق وتقدم إليه حبوا على الأرض فأخذ يده وشرع يقبلها وهو يرتعد ويبكي ، فقال له محمد من أنت يا رجل وما شأنك ، قال يا سيدي أنا عبد الله بن محمد تورشين من قبيلة التعايشية البقارة ، وسمعت بصلاحك إلى دار الغرب فجئت لأخذ الطريقة عنك ، وكان لي أب صالح من أهل الكشف وقد قال لي قبل وفاته أنك ستقابل المهدي ، وتكون وزيره ، فلما وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي بعينها [51] ، على أن الرواية التي نقلها سلاطين باشا صاحب مؤلف السيف والنار عن عبد الله التعايشي مباشرة هي الأكثر قربا إلى الواقع عندما قابل عبد الله محمد أحمد بعد رحلته الطويلة والمتعبة ، نسي عبد الله كل أتعابه وقنع بمجرد النظر إليه و الاستماع إلى حديثه ، مضت الساعات وهو جالس لا يملك القدرة على الكلام ومخاطبة محمد أحمد ، وأخيرا انتزع بعض الجمل شرح فيها حاله ، وطلب أن يكون أحد تلاميذه ، يبدوا أن شخصية محمد أحمد الجذابة ، التي زادها وقارا المسؤولية التي ألقيت عليه بعد وفات شيخه القرشي ، قد شدت انتباه عبد الله شدا لم يستطع أن يتخلص من أثرها [52] .

هذه الرواية تناسب شخصية عبد الله التعايشي ، الذي كان يرى نفسه تابعا باحثا عن مثل أعلى ينتمي إليه في إطار نشأته وتربيته الصوفية ، فوجد في محمد أحمد ضالته فله قدرات وذكاء حاد لم تغب عن حسه ، منذ ذلك الوقت وعبد الله يعش في قلب الأحداث ويؤثر فيها ويتأثر بها ويترك بصماته ، وهو من المؤثرات التي دفعت بمحمد في دروب المهدية الذي قد بدأ السير فيه .

الأمر الثالث كان ممثلا في رحلته من طيبة إلى جزيرة أبا ، بعد أن اعتلى كرسي المشيخة ، لم تكن هذه الرحلة كالرحلات السابقة عندما كان يغدو ويروح بين طيبة وأبا إنما هذه المرة أخذ الناس يتكاثرون عليه في الطريق ، يصبون لمشاهدته وللاستماع إليه وأخذ البركة منه ، منحته تلك الجموع يقينا على يقين في موقفه كصوفي متفرد ، ففي الأبيض وفي طيبة وفي الطريق إلى أبا وفي أبا نفسها ، لم تخل أيام الشيخ من الوافدين

إليه ، الواجدين في طلعته ومسلكه الزاهد ، ومخاطبتهم بما يسرهم وهم الذين ألفوا على طاعة الشيخ والفقير [53] ، دفعت هذه الأمور والأحداث بمحمد أحمد سريعا نحو إعلان نفسه مهديا ، ومن المنطقي أن نعتبر انضمام عبد الله التعايشي إليه عاملا فاصلا في هذا الاتجاه .

وقف محمد أحمد على مشارف الدعوة المهدية وهو شيخ صوفي زاهد له شخصيته المتميزة التي يهرع إليها الناس طلبا للغوث ، فالصوفي له مكانته في ذلك المجتمع السوداني ، خاصة إذا كان ذلك الصوفي زاهدا حقا في مسلكه ومنهجه ، ازداد قبولا لدى الناس وحلت مكانته ، فالصوفية أعطت لمحمد أحمد تلك المكانة ، فقد تأهل في خلاويها ومغاراتها ، ومنحته القبول الطوعي ، و مكنته شخصيته وقدرته في المخاطبة ومثابرته من أن يمشي في مداها حتى النهاية الممكنة [54] . إن التجربة الصوفية لها قصورها ، فهو قد وصل مداها أو كاد دون أن يقر به قرار ، ولعله قد أدرك عجز الشيخ الصوفي في المضي قدما لتغيير واقع الحال ما لم يرتدي عباءة فوق عباءة الصوفي لباسا أخر وكانت فكرة المهدي المنتظر تتردد هنا وهناك ، حينا همسا وحينا بصوت جهير منفر وحينا ثالثا يتناقلها الناس في حديثهم .

إن وقوف المنهج الصوفي عند مدى معلوم و أوضاع البلاد الحبلى بفكرة المهدي كان كالطريق للخلاص ، فقد أعطت الفكرة إيقاعها المنسجم مع خطوات العصر، دفعت به خارج حدود الصوفية ، فخرج منها يحمل ما استطاع حمله ، وما قوي علي تحمل تبعات البقاء ، وسقط ما عجز عن المضي قدما .

**3 – مراحل دعوته :**

**أولا :المرحلة السرية:**

كان الشيخ محمد أحمد شيخ الطريقة السمانية في جزيرة أبا ، يؤمن بالحقيقة الدينية والحقيقة السياسية والحقيقة الإدارية ، كانت هذه الحقائق تعتمل في صدره وتختمر في ذهنه ، بدأت تشكل فكرا ثوريا ، هذا الفكر هو الذي غيره من الرجل الورع الزاهد المتبتل المتواضع ، إلى رجل ثائر صادق في ثوريته ، فجر ثورته ضد الفساد والفسق ، فقد كان شيخه محمد الشريف نور الدايم أول هدف لثورته ، تفجر أول براكين هذه الثورة كما سبق الإشارة إليه في حفل ختان أنجال شيخه محمد الشريف [55] ، كانت أولى خطوات الطريق التي وضعت حدا فاصلا ، بين نشاطه الصوفي ومحمد أحمد المهدي اتخاذ السرية منهجا في دعوته واتصالاته ، السرية هي التي نقلته من داعية صوفي في حدود النظام القائم إلى داعية لأمر خارج النظام القائم ، مما يحتم عداءه ويستوجب ردعه ، بدأ يسر لمن حوله من المريدين الذين التفوا به لتصوفه وورعه ، بدأ يسر لهم ببعض الخواطر التي كانت تطرأ عليه .

فبعد عودته من الحلاويين أخذ يدعوا الناس للمهدية سرا ، بايعه خلق كثير من قبائل الأعراب النازلين حول جزيرة أبا ، منهم قبيلة دغيم وكنانة ، وكان سبب إقبال هاتين القبيلتين على دعوته الخليفة علي بن حلو صاحب محمد أحمد فقد كان يخلفه في جزيرة أبا

وهناك قد عاهده كثير من موظفي الحكومة السودانية بموافاته بالأخبار ، فاجتمع له زهاء ثلاثة ألآلاف رجل من الأعراب وعمال الحكومة [56] .

بدأ محمد أحمد بمكاتبة رجال الحكومة ومشايخ الطرق الصوفية ، وعلماء الشريعة سرا كانت كتاباته الأولى في بادئ الأمر تلميحا لا تصريحا [57] ، تضمنت أولى خطاباته التي أرسلها لأخصائيه أن فيها تباشير والدعوة للاستعداد للقيام بالأمر نية قوام الدين ، منها خطاباته التي أرسلها إلى إبراهيم محمود وآخرين قائلا له : (( ... لا يخفى عليكم عزيزي أننا ندعو إلى الله ، وفي هذه المرة قد بلغ الأمر الخناق ، وصارت التوبة وافية داعية إليكم ظاهرا وباطنا للسعد الأبدي ، والخروج عن الشقوة ، وإننا أرسلنا إلى كافة المحبين وأعددناكم من أول القائمين الناجزين ، فاطلع على الجواب الذي أرسلناه وآت إلينا سريعا بأهلك وجماعتك ، وإخوانك وكل من له محبة في الدين ...)) [58] ، كما أرسل عدة مناشير أخرى منها إلى صديقه محمد الطيب البصير وغيره.

من هذه الوثائق نعلم أن محمد أحمد سيقوم بأمر فيه إحياء الدين ، فقد كتب لأخصائيه بالرحيل والاجتماع به ، وأمر إخوانه بأن لا يتعاقدوا لبناء مراكب جديدة ، بل عليهم أن ينهوا معاملاتهم التي في أيديهم ، بينما كان محمد أحمد في كردفان اتصل بأحد الشخصيات البارزة في العاصمة الأبيض وهو الشيخ محمد المكي بن إسماعيل ، شيخ الطريقة الإسماعيلية ، وأعلن محمد أحمد للمثقفين من رجال الدين أنه المهدي المنتظر معززا ذلك بما تراءى له في الرؤى والأحلام ، بالإضافة إلى ما جاء في الأحاديث عن ذكر المهدي المنتظر ، وعندما التف حوله الناس خاطبهم بعاطفة متقدة محرضا إياهم على الزهد في هذا العالم ، والاهتمام بالعالم الآخر ، حصل سرا من أتباعه الجدد يمين يؤدونه بالولاء أو بيعة يبايعونه فيها على الولاء والطاعة ، وأعطاهم صورا مكتوبة منها للاحتفاظ به لحين إعلان أمره ، و في طريقه لأبا قدم له العهد كثير من رجال الطرق الدينية ، وشيوخ القبائل المتنقلة[59] ، كذلك عاهده الملك آدم أم دبالو ملك مملكة تقلي وهي مملكة إسلامية في جبال النوبة على أطرافه بلاد النوبة الوثنية [60] . كانت هذه المرحلة السرية لدعوته إلى المهدية في ربيع الثاني 1298هـ مارس 1881م [61] .

**ثانيا –الجهر بالدعوة :**

أصبح خلف محمد أحمد نفر كثير من المؤمنين به من الشخصيات ذات النفوذ الديني والتجاري والاجتماعي ، ومن الناس الذين استكتبهم بمواثيق ، فبدأ فوره نشاطه مكثفا لإعلان المهدية ، فقد جاء في كتاب الإمام المهدي للمؤرخ القدال أن الفقيه حمد الصادق أحد تلاميذه الشيخ القرشي ، أنه ذهب رفقة الشيخ عبد الرحمان لزيارة محمد في جزيرة أبا في رجب 1298هـ ، وقد ضمهم مجلس خاص في 18 من نفس الشهر ، أخبرهم فيه بأنه يود أن يكشف لهم أمرا هاما بعد أن يعاهدوه على كتمانه ، فأخبرهم بأنه المهدي المنتظر [62]، وأرسل إلى الجميع الذين عاهدوه بالطاعة منشورا ختمه بخاتم نقش فيه محمد أحمد بن عبد الله قال في طالعه بعد البسملة والحمد له :

(( ...جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام ، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه ، وقال لي أنت المهدي المنتظر ، ومن شك في مهديتك فقد كفر ، وأن الترك كفار وهم أشد الناس كفرا لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وأخبرني صلى الله عليه وسلم بأن النصر يسير بين يدي أربعين ميلا ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي ، ومعه الخلفاء الراشدون ، و أن الله تعالى أيدني بالأولياء والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام إلى زماننا هذا ومؤمني الجن يجاهدون معي ، ولا يهزم لي جيش ، وأن الله ناصري ومؤيدي على كل من جارني من الثقلين ، و أن أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم ، وعامتهم أكبر مقاما من دار الخلد ...))[63] . وختم منشوره بالحث على الهجرة إليه ، ومغادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه .

تم إعلان ظهور المهدي في جزيرة أبا في أول شعبان من سنة 1298هـ الموافق لـ 29 جوان 1881م ، رغم أن هذا الإعلان كان من المحتم أن يؤدي إلى صدام مع الحكومة ، إلا أن النداءات التي بعث بها لم ترتكز كثيرا على فكرة الجهاد ضد أعداء المهدية ، بل دعت إتباعها إلى واجب آخر وهو الهجرة أي الهروب للإفلات بعقيدتهم بعيدا وفي حمى المهدي[64] . لم يهتم الحكمدار محمد رؤوف باشا [65] بأمر الخطابات التي كان يرسلها محمد أحمد المهدي إلى بعض الكبار من الفقهاء والأعيان في بادئ الأمر. لكن عندما تواترت الأخبار ، وانتشرت قصة المنشورات رأى الحكمدار ضرورة استدعاء محمد أحمد إلى الخرطوم ، فأرسل معاونه أبو المسعود إلى جزيرة أبا للقيام بهذه المهمة وقد بلغ أبو المسعود الجزيرة في 11 رمضان 1298هـ 08 أوت 1881م [66]، جرى بينه وبين محمد أحمد المهدي حوارا أدرك منه أبو المسعود أن المهدي مصمم على دعوته . فعاد إلى الخرطوم ، وأخبر الحكمدار بما جرى بينه وبين محمد أحمد المهدي [67] في نفس الوقت أرسل محمد برقية إلى الحكمدار يرد فيها على خطابه الذي حمله أبو المسعود ومؤكدا له أنه المهدي المنتظر ، وأنه ولي الأمر ، معلنا عن عزمه على القضاء على الترك بحد السيف ، فما كان من رؤوف باشا إلا أن أرسل أبا المسعود نفسه على رأس قوة ليجبر محمد أحمد على المجيء إلى الخرطوم والقضاء على حركته في المهد ، بلغ أبو المسعود أبا في 16 رمضان 1298هـ 13 أوت 1881م [68] بلغ هذا الخبر إلى مسامع محمد أحمد فاستعد لها ، وكانت الواقعة الأولى بقيادته محمد أحمد المهدي [69].

**الخاتمة:**

إن الدعوة التي جاء بها محمد أحمد المهدي، ردت الاعتبار إلى التراث الصوفي فحولته إلى أداة للثورة والبلاد التي كانت حبلى التغيير ، جمعت طاقتها في دعوة المهدي المنتظر، وفكرة المهدي المنتظر التي كانت تتردد هنا وهناك ، يقول بها هذا وذاك وجدت في شخصية محمد أحمد تجسيدها البشري، فلعبت بذلك هذه الشخصية دورا هاما في نشاطه ، سواء كان داعية صوفيا أو مهديا ، فالأمر كله يقوم على ثقل الشخصية

وحجمها ، فهناك إجماع على صفات الرجل المتميزة ، إذن فنحن أمام شخصية له قوة تؤثر في الناس وتشدها إليه. هذا دون أن تكون هناك علاقة وثيقة بين ما يقوله الشخص أو الزعيم ، وما تتلقاه الجماهير من تلك الأفكار .

إذا أضفنا إلى هذه الصفات مثابرة الرجل وحمل نفسه على الجادة ، فإننا نجد أنفسنا أمام شخصية ليس كبقية متصوفة العصر ، إنما أمام صوفي مؤهل للقيادة ولارتياد الجماهير الكبيرة ، هذا ما جعل من أعدائه يصف إعجابه بقيادة محمد أحمد المهدي قائلا (( لاشك أن هذا الرجل كان له أقوى جنان ، وأصفى رؤية على امتداد المليون ميل مربع التي أصبح فيها صاحب الشأن بلا منازع )) [70] .

**الهوامش:**

(1)- هناك عدة روايات عن تاريخ ميلاد محمد أحمد وهي تضعه بين 1840م و 1847م ، لكن كل من المؤرخ نعوم شقير وإبراهيم شحاتة والقدال يضعونه في تاريخ 1844م .

(2)- Hamid Naseem Rafiabadi, **world religions and Islam a critical study**,voll 02 University of Kashmir , New Delhi , 2003 , p 351 .

(3)- Gaston Dugarric , **L'etat Mahdiste du Soudan** ,libreairie arientale et Americaine , Baris ,Fance , 1901 , p p 37 38 .

(4)-إبراهيم فوزي باشا ، **السودان بين يدي غردون وكتشنر**، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم ، السودان ، 1319هـ ، ص 70 .

(5)-إبراهيم شحاتة حسن ، **مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة أحمد العوام – دراسة مقارنة في الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية واتجاهات الفكر الثوري في عهدهما** – ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية مصر ، 1971م، ص 37 .

(6)-نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان**، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1967م ، ص 637 .

(7)- نفسه ، ص 638 .

(8)-محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي محمد بن عبد الله 1844م – 1885م** ، الطبعة الأولى ، دار الجيل، بيروت لبنان ، 1412هـ - 1992م ، ص 37.

(9)-مكي شبيكة : **السودان عبر قرون** ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1964م ، ص 250 .

(10)- إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ج01، ص 72 .

(11)-ضرار صالح ضرار : **تاريخ السودان الحديث** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1965م ، ص ص 102-103 .

(12)- فضل الله علي فضل الله ، **العبور بالعودة للجذور – دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية** – ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، مصر ، 1990م ، ص 62 .

(13)- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق، ص 103 .

(14)- J. Kelly Giffen , **The Egyptian Sudan** , bibliobazaar reproduction series, London , 1970, p 23 .

(15)-أبو سليم محمد إبراهيم ، **الحركة الفكرية في المهدية** ، الطبعة الأولى ، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ، دار الطباعة ، الخرطوم ، السودان ، 1970م، ص 13.

(16)- إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق، ج 01 ، ص 72 .

(17)-مكي شبيكة ،**مقاومة السودان للغزو والتسلط** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي، القاهرة مصر، 1972م ، ص 54.

(18)- إبراهيم فوزي باشا ،المصدر السابق ، ج01 ، ص 72 .

(19)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق، ص ص 51- 52 .

(20)- محمد عمر البشير ، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان – 1900م . 1969م** – كلية الآداب بجامعة الخرطوم الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، السودان ، 1980م ، ص 23 .

(21)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 638 . و أنظر أيضا : ب.م . هولت ، المهدية في السودان ، ترجمة جميل عبيد ، مراجعة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1978م، ص 51.

(22)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق، ص 53 .

(23)- نفسه. .

(24)- مكي شبيكة ، **عبر قرون** ، مصدر سابق ، ص 252 .

(25)- نظم محمد الشريف هذه القصيدة بناءا على طلب الحكمدار عبد القادر باشا حلمي ، بعد إعلان محمد أحمد لمهديته كان الهدف محاربة المهدي بواسطة العلماء ، رغم ذلك فإن القصيدة كتبت في هجاء محمد أحمد إلا أن محمد الشريف ما استطاع أن ينكر صفاته المتميزة . أنظر ، نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 640 .

(26) – محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق، ص 55 .

(27)- مكي شبيكة ، **عبر قرون** ، مصدر سابق ، ص 252.

(28)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 639 .

(29)- محمد إبراهيم أبو سليم ،**الحركة الفكرية** ، مصدر سابق ، ص 14 .

(30)- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص 105 .

(31)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 641 .

(32)- نفسه .

(33)- إبراهيم شحاتة حسن ، المصدر السابق، ص 137 .

(34)- Gabriel Warburg , **The Sudan Under Wingate Administration in The Anglo Egyptian Sudan ( 1899 – 1916)** , Frank cass and company limited , London , 1970, pp 124 125 .

(35)-محمد محجوب مالك، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881م – 1898م**، الطبعة الأولى، دار الجيل ،بيروت، لبنان ، 1987م ، ص 53.

(36)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 62 .

(37)- نعوم شقير ، المصدر السبق ، ص 642 .

(38)- محمد إبراهيم أبو سليم ، **الحركة الفكرية** ، مصدر سابق ، ص ص 16 17 .

(39)- عبد المجيد عابدين ، **تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث – الدين الاجتماع الأدب** – الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1967م ، ص 130 .

(40)- هولت ، المصدر السابق ، ص54 .

(41)- J. Kelly Giffen , Op , Cit , p 24 .

(42)- هولت ،المصدر السابق ، ص 55 .

(43)- نفسه.

(44)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 68 .

(45)- إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 73 .

(46)- هولت ، المصدر السابق ، ص 56 .

(47)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 642 .

(48)- محمد إبراهيم أبو سليم ، **الحركة الفكرية** ، مصدر سابق ، ص 16 .

(49)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 643 .

(50)- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص 108 .

(51)- نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 644 .

(52)- سلاطين باشا ، **السيف والنار في السودان** ، عالم الكتب ، أم درمان ، السودان ، 1930م ، ص ص 110 113.

(53)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 71 .

(54)- محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 71 .

(55)- فضل الله علي فضل الله ، المرجع السابق ، ص ص 69 70 .

(56)- إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق، ج 01 ، ص 76 .

(57)- مكي شبيكة ، **عبر قرون** ، مصدر سابق ، ص 254 .

(58)- مكي شبيكة ، **مقاومة السودان** ، مصدر سابق ، ص 55 .

(59)- هولت ، المصدر السابق ، ص 60 .

(60)- مكي شبيكة ، **عبر قرون** ، مصدر سابق ، ص 254 .

(61)- محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 55 .

(62)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 81 .

(63)- إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 78 .

(64)- Samone Damoulin , **Soudan** , Edition du seuil , Paris , France , 1979 , p 64.

(65)- محمد رؤوف باشا لواء في الجيش المصري ، قيل أن أباه نوبي و أمه حبشية ولد سنة 1831م ، خدم المديرية الاستوائية ، وخلف غردون في سنة 1880م حكمدارا للسودان ، بدأت الثورة المهدية في عهده ، فرفع عن منصبه في سنة 1882م لفشله في قمع الثورة المهدية ، خلفه عبد القادر حلمي باشا ، توفي في المينا سنة 1888م . أنظر : محمد إبراهيم أبو سليم ،**الحركة الفكرية** ، مصدر سابق ، ص 20 .

(66)- Hamid Naseem Rafiabadi , Op , Cit. P 352.

(67)- محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 56 .

(68)- محمد إبراهيم أبو سليم ، **الحركة الفكرية** ، مصدر سابق ، ص 20 .

(69)- كان عمر محمد أحمد عندما اشتعل فتيل الثورة دون الأربعين سنة ، كان يدعى أولا بمحمد أحمد بتركيب الاسمين ، ثم قال أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالاقتصار على الجزء الأول أعني محمدا وتغيير اسمي بمحمد المهدي ، فإنه قال صلى الله عليه وسلم في بعض حضراته أني كنت أسمى محمدا فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله ونبي الله ، وأنت كنت تسمى محمد أحمد فلما حصلت على المهدية يقال لك المهدي ، وسنطلق هذا الاسم بعد الآن ، كان لمحمد المهدي خواتم يختم بها كتبه ومنشوراته ، وآخرها خاتم منقوش فيه ثلاثة أسطر بهيئة مربع: لا إله إلا الله سطر، محمد رسول الله سطر ، محمد المهدي بن عبد الله سطر . أنظر: نعوم شقير ، المصدر السابق ص 650 .

(70)- محمد سعيد القدال ، **الإمام المهدي** ، مرجع سابق ، ص 98 .